دين العزة

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

الإسلام يمكن أن يوصف بأوصاف كثيرة كلها حق . فهو - فى غير حصر لأوصافه - دين الحق ودين العدل ودين الإحسان ودين الإخلاص ودين التوبة ودين العمل ودين الجهاد ودين الإخاء ودين التعاون ؛ ولكن هذا كله يتصل من ناحية أو من أخرى بصفة من صفات الإسلام البارزة هى أنه دين العزة، عزة الفرد وعزة المجموع وعزة الشرع الذى يدينان به ويستمدان عزتهما من عزته . والعزات الثلاث متصل بعضها ببعض ومتوقف بعضها فى الحياة العملية على بعض

وأول ما يبدؤك من عزة الإسلام أنه ليس دين صومعة وعزلة ولكن دين حكم ودولة . الحكم فى دولته لله وقانونها شرع الله، ليس للإنسان فيه إلا الفهم والفقه وحسن التطبيق . فالقوانين الوضعية منكرة فى الإســـلام ، وكل هذه القوانين المستمدة من الغرب أو من قدماء اليونان والرومان مردودة فى الإسلام ما خالفت أحكام الله . وليس بالمسلمين إليها من حاجة إن وافقت . وما حاجة المسلمين بل ما حاجة الناس إلى حكم إن خالف حكم الله فهو خطأ وفى الله الناس بالمشرع شره ، وإن وافق حكمَ الله اتفاقا كان التماسه فى غير الشرع إثما المسلم وذلة . كان إثما لأنه انصراف عن شرع الله وسوء ظن به وافتراض نقص فيه يلتمس سده فى غيره ؛ وكان ذلة لأن المسلم حين يحتكم إلى غير دين الله ويرضى بحكم من يعلم أنه لا يؤمن بما أنزل الله فقد خلع عن نفسه رداء العزة الذى أضفاه الله عليه حين أنزل الله له شرعا جمع له فيه وبه الخير والصواب ، وحرره به من الخضوع فى قول أو عمل أو نية لغير الله .

وهذا الإستسلام لله وحده هو أصل عزة الفرد المسلم، لأنه ينزع من صدره كل خشية ورهبة لغير الله . فهو إذا أطاع الحاكم المسلم إنما يطيعه طاعة لله ، وإذا شكر المحسن إنما يشكره طاعة لله الذى أمره بشكر من يحسن إليه ، وهلم جرا فى سلسلة الطاعات والالتزامات التى يلتزم فيها المسلم طاعة غيره من الناس .

والمسلم مأمور ألا يسمع لمخلوق ولا يطيعه فيما فيه معصية لله؛ فهو عبد الله وحده قد تحرر بالإسلام من العبودية والخضوع لكل ما سواه . فنفسه قد برئت من خشية غير الله أو رجائه بقدر ما أوتيت من الإســـلام . وهذه البراءة تجتث من نفس المسلم الذلة من أصلها باجتثاثها الذلة التى يشعر بها فى نفسه كل ذليل ولو لم يطلع عليها غيره من الناس . وكم من عزيز فى رأى الناس هو فى ذاته ذليل ذلة يعرفها هو من نفسه بما يجد من رهبة أو رغبة عندما يلقى من يرهبه أو يرجوه من عدو ينافقه ، أو رئيس يمالقه ، أو صديق يحابيه .

وهذه العزة النفسية التى يمنحها الإسلام المسلم الصادق تزداد رسوخا بالتحرر من سلطان الوهم الذى حرر الإسلام منه نفس البصير وعقله . فالإسلام حين طالب المسلم بالخضوع لله وحده قد كفاه شر الخضوع لغير الله باسم الخضوع لله بما بين له ووضح من الأوامر والنواهى، ومن سبل الطاعة وسبل المعصية ، ومن الرشد والغى ، وما هو فرض وما هو ندب ، وما هو مكروه وما هو مباح ، وما هو متروك للاستنباط والقياس . كل ذلك مما بينه الكتاب الكريم والسنة الطاهرة يسد الطريق على الخرافات والأوهام أن يكون لها سلطان على المسلم إذا عرف دينه كما ينبغى وتشرب حقا بروح الاسلام .

وقد صان الاسلام عزة الفرد فى الجماعة الاسلامية بما قرره

obeikandl.com

من مبدأ المساواة بين الأفراد على اختلاف ألسنتهم وألوانهم من غير نظر إلى نسب أو نشب أو جاه ، وبما أقامه من ميزان الحق والعدل فى الأحكام . فالقوى فى الجماعة الاسلامية ضعيف حتى يؤخذ الحق منه، والضعيف فيهـــا قوى حتى يؤخذ الحق له . كذلك أكد الخليفة الأول فى أول خطبة خطبها فى خلافته الراشدة . ولم يكن ذلك مبدأ وضعه الصديق رضى الله عنه وانما هو تعبير صادق عن أصل كبير من أصول الحكم فى الاسلام يتجلى فى آيات الكتاب المجيد وفى أعمال الرسول صلوات الله وسلامه عليه . وفى تنفيذ هذا الأصل من أصول الاسلام فى الحكم لا يلحق أى المتقاضيين ذلة من حكم القاضى . فالمحكوم عليه إنما يخضع لحكم الله لا لحكم أحد ، ولا غضاضة على أحد فى الخضوع لحكم الله . أما المحكوم له فليس يخشى عليه إلا أن تأخذه عزة بإثم إن أساء فهم معنى الحكم ، ونظر إليه من زاوية غير التى ينبغى أن ينظر منها المسلم إلى الأحكام المبنية على الشرع سواء أكانت له أم عليه .

حتى ذلة الفقر وذلة الدين قد وقى الاسلام المسلم شرهما بما جعل له من حق الزكاة عند العجز ، وبما حرم من الربا عند التداين وفى التعامل ، وبما تكفل به ولى الأمر من سداد الدين عن المدين الذى يموت وليس فيما ترك سداد لدينه . وهذا أمر عجيب تفرد به الإسلام بين الشرائع يحفظ به لذى الحق حقه ، ويخفف به حساب الآخرة عن المدين ، ويدفع به ذلة الدين حتى عن ورثته . والنص فى ذلك وارد فى أكثر من موضع من الصحاح . من ذلك ما ورد فى كتاب الفرائض من الجزء الثامن من صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلينا قضاؤه » . وهذا طبعا تشريع يلزم كل من يحكم المسلمين بسنة الرسول .

هذا كله فى البلاد العربية التى الاسلام فيها دولة وحكم نافذ . أما حيث لا سلطان للاسلام يكفل للمسلم العزة كلها فقد كفل له الإسلام العزة النفسية حين أمره بالهجرة من كل بلد يستضعف فيه إلى بلد يعز فيه ، أو يستطيع على الأقل أن يسلم فيه بدينه ولو اضطر أن ينزل بالهجرة عن بعض ماله ، لأن الأصل فى الإسلام أن الدين فوق كل شئ من نفس وولد ومال . فإن عجز عن الهجرة لأمر مانع ، كان عليه ألا يجيز لنفسه سماع ما يشعره بالذلة فى نفسه من طعن أو لز فى دينه ، لأنه من غير شك يستطيع الخروج من مجلس يهان دينه فيه إن لم يستطع خروجا من بلد لا يملك فيه انتصارا لدينه . وهذا كان الحكم فى العهد المكى وأوائل العهد المدنى من الرسالة قبل أن يصير للاسلام دولة . وهو حكم يسرى فى عهدنا هذا فى كل بلد يقضى فيه بغير حكم الإسلام . ودليل ذلك كله قريب فى الكتاب الكريم : فى قوله تعالى من سورة الأنعام المكية :

(وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) وفى قوله تعالى من سورة النساء المدنية قبل أن تشتد دولة الإسلام : (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، إنكم إذن مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) ، وليس بعد تشبيه المسلم المتهاون المتساهل فى ذلك بالمنافق والكافر تهديد ولا وعيد

وعزة الفرد هى أساس عزة الجماعة . لكن الاسلام قد أحاط عزة الجماعة المسلمة بسياج من الأحكام والنظم التى تضمن للمسلمين استمرار العزة وازديادها على الدهر إذا عملوا بتلك النظم والأحكام

والأصل الشامل فى ذلك مبدأ الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله . وأعجب ما فيه ، وهو أكثر ما يجهله المسلمين اليوم أن المسلمين جميعا يأثمون بترك جهاد العدو إن لم تقم به طائفة كافية لصده والتغلب عليه . وقد اكتفى المسلمون بالشطر الأول ونسوا الشطر الثانى ، اكتفوا بقيام طائفة منهم للعدو ممثلة فى الجيش ، ونسوا الشرط الأساسى ، شرط أن يكون الجيش فى

عدده وعدده كافيا للتغلب والظهور على العدو وإلا كان الجهاد فرضا على كل مسلم يأثم بتركه حتى تتحقق للجيش تلك الكفاية وتتحقق العزة للمسلمين

لم يكن المسلمين فى أيام النبى وأيام الخلافة الراشدة ولحقبة طويلة بعدها جيش معين محدود ، وإنما كان كل مسلم يحمل عبء الجهاد بالسلاح حين يندب له فى السرية أو الجيش الذى يؤلف حسبما يقتضيه الظرف الداعى له ، والمسلمون بعد ذلك من وراء الجيش مدد له . وكان المسلم القادر يقوم بنفقة نفسه وتجهيزها وقد يتحمل تجهيز غيره . فالجماعة الإسلامية كانت كلها جيشا واحدا بالفعل أو بالقوة والاستعداد . فالاستعداد الفردى كان عاما والخروج فى الجيش بالفعل كان بين التطوع والإلزام ، أو بالأخرى كان إلزاما فى صورة تطوع ، حقق الله به للجماعة العزة وللفرد فضيلة الجهاد عن رغبة واختيار تحقيقا للعزة النفسية عند الفرد حتى فى العمل بذلك الأصل العظيم فى الدين أصل الجهاد فى سبيل الله

ولم يترك أمر الاستعداد بالسلاح للفرد وحده ولكن أمرت الجماعة كلها بالاستعداد والبلوغ به أقصى مداه . وهذا هو الأصل الثانى الذى صينت به عزة المجتمع الإسلامى أن تذهب أو تنهار . نزلت بهذا الأصل العظيم سورة الأنفال فى قوله تعالى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم) وهذا الأمر وإن وجه إلى الجماعة موجه إلى الفرد أيضا كما يشهد الحديث الشريف . فالجماعة المسلمة والفرد المسلم كل مخاطب بتلك الآية الجامعة ، وكل مأمور أن يعين على الاحتفاظ بالعزة للاسلام وأهله بأن يبلغ من القوة والاستعداد أقصى ما يستطاع

ومن عجيب مظاهر العزة فى الدولة الإسلامية ما أوجبه الاسلام على المسلم من حماية الذمى يبذل فى سبيل حمايته دمه من غير أن يكلفه قتالا أو معونة إلا مبالغا يسيرا يستطيعه كل سنة مقابل تلك الحماية ، حتى إن بعض أمراء جيوش المسلمين فى الفتوح الأولى رد على قوم جزيتهم بعد أخذها بأيام لما أراد الارتحال لأن ارتحاله سيحول بينه وبين حمايتهم من عدو لهم طرقهم ، فبين بذلك مبلغ إنصاف الاسلام لمن يدخلون فى ذمته من غير المسلمين . فالعزة فى الأرض لله وللمؤمنين القائمين بحكم الله . أما غير المؤمنين الداخلون فى ذمة الله ورسوله والمؤمنين فيحرمون من حمل الله ، ويحميهم المسلمون كما يحمون أنفسهم وذراريهم ، ولهم فيما عدا ذلك ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين . وهذا تشريع عجيب جمع الله به للمسلمين بين عزة أنفسهم وإنصاف غيرهم انصافا لم يسبق الاسلام إليه ولم يلحق فيه

فاعجب إذن من أمة دينها دين العزة ثم تهمله لتصير إلى ما صار إليه المسلمون اليوم !

محمد احمد الغمراوى

جامعة فؤاد الأول

كلية الزراعة

بالجيزه

تعلن كلية الزراعة بالجيزة عن وجود وظيفة (مصبر حشرات) من الدرجة السابعة الفنية خالية بها ويشترط فيمن يتقدم لهذه الوظيفة :

١) أن يجيد تصبير الحشرات المختلفة

٢) أن يكون ملما بتحضير شرائح من الحشرات وأجزائها المختلفة

٣) أن يلم بتشريح أولى للحشرات المروفة

وستعقد الكلية امتحانا عمليا للمتقدمين

فمن يأنس فى نفسه توافر هذه الشروط فليتقدم بطلب على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما برسم حضرة صاحب العزة عميد كلية الزراعة بالجيزة فى ميعاد غايته أسبوعا من تاريخ النشر والموظفون تكون طلباتهم من طريق المصالح التابعين لها

٣٤٢